وذنوب عام قادم معها ؟ أقول ذلك على علم بأنه خروج على ما يسمونه قواعد التربية ، ولكن ما الحيلة وأنا رجل ضعيف ، وإني أحذر وزارة المعارف أن تجعلني ناظراً أبداً وإلا أفسدت لها الدنيا ... وإن كنت لأزعم أن ما أصنعه من مغفرة إنما هو إصلاح وإن خفي ذلك على فحول التربية ...

وقال البك الناظر يوجه الكلام إلى الرجل وهو يدق مقبض عصاه ويتأوه ، لو كان الأمر أمر ابنك وحده لقبلته من أجل خاطرك ولكني أبعدت سبعة غيره . وارتاح الرجل لهذه الكلمة وقال : هذا كلام طيب أشكرك عليه وهو من كرم خلقك ، ثم نهض يبتلع ريقه في عسر ويستجمع نفسه المتقطع وسلم والألم والحسرة في عينيه وملامحه ، وخرج من الحجرة يتكيء على عصاه ويكرر عبارات الشكر والتحية ...

وبعد ، أفلم يأن لمدارسنا أن تغير أسلوبها فلا تجعل المسألة يوماً يبدأ وينتهي على أية صورة وبرامج تقطع تأهباً لامتحانات فاسدة لا تدل على شيء ، ثم لا يبقى بعد ذلك التفات إلى خلق ولا عناية بتربية ولا رعاية لمستقبل أمة ؟ إن على مدارسنا التبعة قبل الآباء في فساد من تطرد من الفاسدين ، وإن علينا أن نصلحهم أجمعين وإلا فبأي وجه نكون من المربين

الضعيف

الأدب والنقد في أسبوع

الصورة الجديدة للأدب :

هذا عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين بك مساء الجمعة برابطة خريجي جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا . وقد بدأ الدكتور بأن للأدب صوراً متعددة لا صورة واحدة ، وأن المقصود بهذه المحاضرة على وجه الدقة هو التصور الجديد للأدب ، وهو يختلف أشد الاختلاف بحسب العصور والبيئات . فقد كنا نقول منذ زمن قريب : الأدب مرآة الحياة ، والأديب صورة عصره . فنزهى بذلك ونعده غاية ما يصل إليه الأديب ، ولكننا الآن لا نطمئن إليه ولا نرضى به ، لا نرضى بأن يكون الأدب صورة فحسب بل نطالبه إلى ذلك بشيء آخر ، ثم قال إن الصلة بين الأديب وقرائه مبنية على حرية التعبير عما يريد ليؤثر بهذه الحرية في قارئه . وإننا لنسأل الأديب : لم تكتب ؟ فيجيب في تواضع : أكتب لنفسي ، أو يقول في كبرياء وزهو : أكتب للأجيال القادمة . وربما قال : أكتب للمثقفين ، وهو على كل حال إنما يكتب ليُقرأ وليجد صداه . واستعرض الدكتور العلاقة بين الأديب ومستهلكي أدبه ، من العصور القديمة إلى هذا العصر فبين تطوراتها المتشابهة في الأدب الفرنسي والأدب العربي من حيث أن الأديب كان في كل منهما يخاطب طبقة خاصة محدودة أخذت تتسع وتكثر على ممر الأزمان ، وإن كانت قد وقفت في البيئة العربية عند ما أغار عليها المغيرون من خارجها ، وظلت في جمودها إلى العصر الحديث ، وبين أن الأدب انتقل عند بزوغ شمس الإسلام ونزول القرآن ، وفي الثورة الفرنسية ، من مجرد تصويره للحياة إلى الجمع بين هذا التصوير وتوجيه الناس إلى مثل عليا.

وانتهى الدكتور من كل ذلك إلى أن الأديب في هذا العصر وقد كثر قراؤه بانتشار التعليم ، لا ينبغي له أن يقتصر على الحرية في التعبير والتصوير ، بل عليه أن يشعر إلى جانبها بالتبعات والواجبات ، فهو يكتب لجميع الناس وفيهم من يفهم ما يريد ، ومن يفهم بعض ما يريد ، ومن يفهم غير ما يريد ، فيجب عليه أن يسهل أدبه ويسره ليكون واضحاً مفهوماً للجميع ، والمجتمع الحديث لا يقنع منه أن يرى نفسه في مرآته بل يتطلب منه أن ينزل من برجه العاجي ليعيش مع الناس في بؤسهم ونعيمهم فيصور البؤس لتغييره والخلاص منه ، والنعيم للوصول إلى أصفى منه.

فالصورة أو التصور الجديد للأدب أن يحيا الأديب في البيئة ويشارك الناس أحزانهم ومسراتهم ، لا ليصور ذلك فحسب ، بل ليضيف إلى التصوير التغيير والإصلاح للوصول بالجماهير إلى مستوى فيه السعادة والنعمة والخير .

ثم قال الدكتور : هذا هو سبيل الأديب إلى أن يكون نافعاً وله قراء . أما الأديب الذي ينظر في النجوم ويشاهد أشعة القمر في انعكاسها على مختلف الأشياء ولا يغادر برجه العاجي فلن يقرأه إلا المثقفون القليلون ، وقد يسرون منه ويعجبون به ، ولكنه ليس الأديب الذي يشعر إلى الحرية بالتبعات والواجبات ، وليس الأديب الذي يقبل عليه القراء فيجدون أنفسهم وأمانيهم ومطامحهم فيما يكتبه .

عود إلى قريب :

عند ما قال الدكتور طه إننا لا نكتفى من الأديب أن يكون مرآة عصره — داخلنى شىء من الزهو الذى قال إنه يداخل الأدباء ، وقلت فى نفسى : أيكون هذا الرجل الخطير قد قرأ ما كتبته فأثار فى خاطره هذا الذى قال ؟

والذى كتبته كان تعليقاً على ما أفضى به إلى مجلة « الكتاب » من الرأى فى شوقى وحافظ ، إذ قال بأنهما لم يبلغا من الشعر ما كان يجب لهما وللشعر العربى الحديث ، ومما علل به رأيه قوله : « فلم يكن هذان الشاعران إلا مرآتين صادقتين للعصر الذى عاشا فيه »

وكتبت تعليقاً على هذا : « ويحضرنى — لذلك — رأى للدكتور طه حسين فى كتابه (حديث الأربعاء) مؤداه أننا لا نعد الشاعر شاعراً إلا لأنه يعبر عن بيئته ويصور عصره فيحسن التعبير والتصوير . ورأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ أنهما لم يبلغا من الشعر ما يجب فأى الرأيين ما زال يرى ؟ »[1] .

وسواء أكان ما قاله فى المحاضرة صدى ما أنفذته فى الرسالة منذ أكثر من شهر أم لم يكن ، فإننى أعتبره جواباً شافياً لذلك التساؤل . ولا أسوق هذا إشباعاً لما قلت إنه داخلنى من الزهو ، وإنما أذكره لإزالة الغبار الذى علق برأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ من جراء ذلك التعليق .

فننا وشعورنا وبحورنا :

كتب بعض الكاتبين بجريدة الأهرام فى تجميل القاهرة ، فأثاروا فى هذا الموضوع مسألة وضع التماثيل فى الميادين والحدائق لتجميلها ، وقالوا كما قلنا فى عدد مضى من الرسالة بأن تمثال نهضة مصر لا قيمة له ولا داعى لاستمراره فى ميدان المحطة . وقد اقترح أحدهم وضع التماثيل الفرعونية الفائضة فى الميادين لجذب السائحين إليها .. فرد عليه الأستاذ عبد القادر مختار المثال المعروف بأنه يجب أن تكون لنا نهضة فنية تساير ظروفنا الحالية ، فلا نكتفى بالتغنى بالقديم واللجوء إليه كلما فكرنا فى القيام بشىء ، وقال : « ولهذا يجب أن نشجع الفنانين المصريين على الإنتاج ومسايرة ظروف البلاد وتطورها ، فنضع تماثيلهم التى ترمز للنواحى الوطنية وتعالج شؤوننا القومية فى الميادين والحدائق العامة حتى يتذوق الجمهور ما فيها من الفن وتكون وسيلة لهديه وتثقيفه وترقية إحساسه » .

(١) العدد ٧٤٥ من الرسالة

وإنى أضيف إلى عدم الاكتفاء بالتغنى بالقديم واللجوء إليه كما قال الأستاذ المثال — أن هذا القديم لا يثير فينا الشعور المنشود لنهضتنا ومراميها القومية ، وقد راقنى من الأستاذ بيان الغرض من تجميل الميادين بالتماثيل المصرية بأنه تذوق الجمهور للفن وهديه ... الخ ، فلم ينزلق إلى ما انزلق إليه الآخرون من الحرص على جذب الأجانب وخشية وقوع أنظارهم على مقابحنا ، فإنى أفهم أن تجمل البلاد لأهلها وتعرض عليهم بدائع الفنون لتربية الذوق الفنى عندهم ولتحفزهم إلى المثل العليا ، وهذه الاغراض نفسها ترفعنا فى عين الأجانب وترغمهم على احترامنا. فلنتجه نحو أنفسنا ونشعر بشعورنا ونجمل بلادنا لنا ، وحسبنا ما بذلناه عبثاً فى مراعاة أمزجة (الخواجات) والتزويق لهم ...

مهرجان الشباب الأدبى :

رأت المراقبة العامة للثقافة فى وزارة المعارف أن تمكن شباب الجيل من إظهار مواهبه الادبية والفنية ، فألفت لجنة من الاساتذة عبد الرحمن كامل وعبد الله حبيب ومفيد الشوباشى والدكتور ابراهيم جمعة ، لتنظيم مهرجان أدبى فنى يتبارى فيه الشباب الذين لم يتجاوزوا الخامسة والثلاثين ، فى الشعر والزجل ، وفى الموسيقى والتصوير والنحت . وسيكون المهرجان الاول لسنة ١٩٤٨ فى أوائل السنة ، ولم يعين موعده بعد ، على أن يكون بعد ذلك كل عام

وقد قصدت وزارة المعارف بهذه المباريات أن تحفز همة الشباب نحو الإجادة والتفوق ، وأن تتيح الفرصة لإظهار مواهبهم الأدبية والفنية .

ولاشك أن الشباب سيجدون فى هذا المهرجان منفذاً لإبراز كفاياتهم الأدبية التى يتهمون شيوخ الأدب بأنهم يحولون دون ظهورها .

الشذوذ والتطرف :

كم هو ظريف هذا الذى يكتب إلى بتوقيع « البسام » فلا يكتفى بما كستنى فى الاتجاه الفكرى ، بل بما كسنى أيضاً فى الاسم ، وإن هذا الصنيع ليخرجنى عما يدل عليه اسمى (العباس) من العبوس ، فأبسم .. كأننى أنا — لا هو — « البسام » .

قال البسام فى رسالته : « قرأت كلمتك « الأديب بين العزوبة والزواج » ولا أريد أن أدخل فى هذا الموضوع ، وإنما استرعى انتباهى قولك فى الرد على الأستاذ سلامة موسى فيما قال

به من أن الزواج يمنع الأديب أن يشذ أو يتطرف : (وهذا كله مع وقوفنا معه ونظرنا إلى الموضوع من الزاوية التي نظر إليه منها وهي التطرف في مهاجمة المجتمع ونظمه .

ولم يقل أحد بأن الأديب لا يكون فذاً مبتدعاً إلا إذا شذ عن المجتمع واصطدم به) فإني أراك بهذا غافلا أو متغافلا عن حقيقة بديهية ، وهي أن في المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة وأن الأديب الحر هو الذي يهاجم هذه العادات والمعتقدات فلابد من الاصطدام » .

هون عليك يا صديقي البسام . إني موافقك على أن في المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة ، وعلى أن الأديب الحر هو الذي يهاجم هذه العادات والمعتقدات ، أما الذي نختلف فيه فهو أنه لابد من الاصطدام ، إن الأديب الفذ المبتدع هو الذي يمثل للمجتمع سخيف عاداته وباطل معتقداته تمثيلا يجعله يلمس هذا السخف والبطلان ، عدته في ذلك فنه واقتداره على التمثيل والتصوير ، فيشعر المجتمع بنقصه ويتجه نحو الكمال ، ولا صدام .

أما من يصادم المجتمع فهو الذي تعوزه الكفاية الفنية فليجأ إلى مواجهته بالكلام المجرد ، وقد يتخذله قرنين يلوح بهما ، وكثيراً مايتعمد المصادم ذو القرنين مخالفة الناس ليقول لهم : هأنذا ...

الأناشيد :

منذ كانت قضية مصر تعرض على مجلس الأمن وكانت إذاعتنا تذيع الأنباء وبعض ما ألقي من الخطب ، وكانت في فترات انتظار تجمع الأنباء تذيع ما تعودت إذاعته من الأغاني الهزيلة التي تستعطف قلب الحبيب الهاجر . الخ ، وانبرت الأقلام تنبه على هذه الفوضى وتشير بأن تذاع بدل ذلك أناشيد حماسية تغذي الوعي القومي والشعور المتوثب — منذ ذلك الحين تنبهت الأذهان إلى الفراغ الهائل الذي يحتاج إلى أن يشغل بالأناشيد ، لأن الذي حدث أن الإذاعة أخرجت ما لديها من الأناشيد الوطنية وأطلقتها على الآذان التي تحملت شدة وقعها وأبت أن تنفذها إلى القلوب لخلوها مما يصلح وقوداً لشرر الوطنية فيها ، فهذه أناشيد يتطرب بها بعض المغنين في لين وتكسر ..

وتلك أناشيد تنشدها جماعات من الصغار أو الكبار بطريقة آلية تخرج من حناجرهم ميتة رغم إعلاء الصوت بها ، ومن هذه أناشيد وصفوها بأنها قومية وضعت بعد معاهدة سنة ٩٣٦ وقت أن قيل ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ولا تزال تلك هي أناشيدنا القومية لأننا لم نستعض عنها بجديد ولم نخل (طرفها) بعد . . . وكل هذه الأناشيد تشترك في أنها لا تؤدي شيئاً مما تجيش به الأفئدة في هذه الظروف وإنما هي كلام منظوم مؤلف من عبارات عامة و(أكاشيهات) مرسومة فنحن أسد العرين وحماة الحمى وأجدادنا مدوا أيديهم إلى الشمس وأمسكوا بقرصها الذهبي . الخ وليس ثمة شيء يصور واقع حياتنا وحاضر جهادنا ، أما التلحين والإلقاء فهما منسجمان مع التأليف .. نغمات عالية وعقائر مرتفعة ، كأن المشاعر الوطنية في مكان سحيق فهم يطلقون أقوى الحناجر لتبلغها الصيحات .. وأكبر دليل على أن تلك الأناشيد لا تنبض بحياة أننا لا نسمع أحداً يرددها طائعاً مختاراً . . ومن المخجل أنك لا تجد نشيداً واحداً يجري على الألسنة كما تجري الأغاني المبتذلة من مثل (حموده يانى !) .

وليست الأناشيد في مدارسنا بأحسن حالا ، فهي على ذلك الغرار بدليل أن التلميذ لا يرددها في خارج المدرسة ، ومن أسباب قصورها أن المشرفين على الأناشيد في وزارة المعارف من ذوي الفن الموسيقي لهم خبرتهم في الإيقاع لا في التأليف لأنهم ليسوا من أهل الأدب ، وكثيراً ما يختارون ما يسهل تلحينه أو يوافق قوالب عندهم .

وقد تنبهت الوزارة لذلك فألفت لجنة من الأساتذة عبد الحميد السيد ومحمود غنيم ومحمد الأسمر منذ نحو ستة أشهر لوضع نظام لمسابقة أناشيد مدرسية . وأخيراً أتمت اللجنة مهمتها فاختارت عدداً من الأناشيد التي قدمت إليها ، والمهم في أمر هذه اللجنة أنها كتبت تقريراً عن مهمتها أشارت فيه إلى أن المسابقات ليست هي أضمن الطرق للحصول على الإنتاج الجيد ، لأن التجارب دلت على أن الشعراء المعتدين بأنفسهم يرغبون عن هذه المسابقات وقد اضطرت اللجنة فيما اختارته من الأناشيد إلى الإغضاء عن عيوب الصالح منها وإصلاح هذه العيوب ، وأشارت باتباع طريقة أخرى هي أن يختار بعض الأشخاص المعترف لهم بالكفاية ويكلفون بالإنتاج . ولاشك أننا الآن في حاجة إلى نشيد قوي له خواص الكائن الحي فيردده الجميع ، فما السبيل إليه ؟ أرى أن يختار عدد من شعرائنا الممتازين الذين يبدون استعداداً ، ويكلف كل منهم بوضع نشيد يؤجر عليه ، وتؤلف لجنة من ذوي الكفايات الأدبية والفنية لاختيار أحسنها . ولعل لدى قراء الرسالة من المقترحات ما ينفع في هذه المسألة فلا يضنون به .

« العباسي »